رواية "المواجهة" الحضارية مع الغرب

أ. منصوري علي

جامعة الحاج لخضر –باتنة–

كلية الآداب والعلوم الإنسانية قسم اللغة الفرنسية

مقدمة

لا يستطيع الإنسان أن يعيش منعزلاً عن الآخرين إذ من طبعه الأخذ والعطاء للمحافظة على النفس واستمرار الجنس.

وأثناء عملية التفاعل هذه يكوّن الإنسان فكرة أو وجهة نظر عن الآخرين. كما يكوّن الآخرون عنه فكرة أو وجهة نظر، وهكذا تنتشر تلك الفكرة أو الصورة لدى أفراد هذا الشعب عن شعب آخر خاصة إذا كان من الشعوب المجاورة جغرافيا، وهكذا هو حال شعوب العالم العربي في علاقاتها مع الشعوب الأوروبية خاصة وشعوب الكرة الأرضية عامة.

وقد تكون فكرة شعب عن غيره من الشعوب واقعية إلى حد ما أو بعيدة عن الواقع، وقد تكون خيالية جدا أو مناقضة للواقع " وبالرغم من ذلك لم تهتم الدراسات الإنسانية بهذه القضية حتى القرن التاسع عشر (19) حيث بدأت الأسوار الفكرية المحيطة بالشعوب تتهاوى، وصار المفكرون ينظرون في مختلف الاتجاهات"[1]

وجدت الشعوب نفسها في مواجهة الواقع وتحتم عليها التعامل مع بعضها نتيجة الاهتمام المتبادل بينها بغض النظر عن نوعية الاهتمام.

العوامل المساعدة على تكوين صور الشعوب لبعضها البعض:

1-الرحلات: فالذين يسافرون خارج بلادهم، يعودون ومعهم أخبار ونوادر وحكايات، وانطباعات يحكونها لمعارفهم، وأحيانا يسجلون مذكراتهم أو وصف لمشاهداتهم.

إن رحلات الأدباء من أهم هذه الوسائل فالأدباء عادة يحبون التجوال في الأقطار والبلدان المختلفة، ويشاهدون على الطبيعة عادات وتقاليد تلك الشعوب وكذا المناظر الطبيعية المختلفة والأمثلة كثيرة من هذا المجال (أندريه جيد في بلدان شمال إفريقيا، أرنست هيمنجواي زار العديد من دول العالم بل زار أدغال إفريقيا فولتير زار القدس)

2-الكتب: ثمّة سلاسل كتب في العديد من الدول هدفها إعطاء صورة عن دول العالم وكثير من الكتاب اشتهروا بكتبهم حول مختلف الأقطار.

3-الحرب: وقد كانت قديما من أهم الوسائل – رغم فظاعتها فقد حكى الجزائريون الذين شاركوا في الحربين العالميتين عن فرنسا وإيطاليا وألمانيا. وكم حكى الجزائريون عن الهند الصينية عندما جندتهم فرنسا لمحاربة الفيتناميين.

4-الوسائل السمعية البصرية: وهناك وسائل أخرى عصرية سارعت في نشر الصور المتبادلة بين الشعوب: الصحف، المجلات، المنشورات، الإذاعات والمراكز الثقافية، السينما، الإنترنت، وأخيرا القنوات الفضائية كوسيلة ثورية من آخر طراز، ومنه فإن: " العالم قرية صغيرة" مقولة صحيحة .

5-فرض الوجود بالقوة: الاستعمار بمعنى آخر كما فعلت فرنسا في شمال إفريقيا وبريطانيا في الشرق الأوسط، فيما يتعلق بالمنطقة العربية، دون الحديث عن الشعوب الأخرى التي استعمرتها هاتان الدولتان.

اللقاء مع الآخر في الوطن: لقد دخل الاستعمار الفرنسي دول الشمال الإفريقي (الجزائر، تونس، المغرب) بالقوة وفرض نفسه على شعوب المنطقة، وبذلك لم يكوّنوا له صورة حسب الوسائل السالف ذكرها، بل تكونت الصورة لديهم من خلال الاحتكاك اليومي والمعايشة والتجربة.

ولا شك أن الصورة المبنية على المعايشة اليومية والتجربة والممارسة، أشمل وأوضح وأقرب إلى الواقع.

ومعنى ذلك أن " صورة " الآخر تختلف عن الصور الأخرى لأنها تكونت بواسطة المعايشة والاحتكاك اليومي، وبالتالي فالمرجّح أنها ستكون واضحة من كلا الجانبين.

ذلك أن الفرنسيين عايشوا المغاربة، وتعاملوا معهم في الإدارة والتجارة، بل جاوروهم في المسكن واختلطوا بهم اختلاطاً مباشرا مثل اختلاط الطلاب فرنسيين ومغاربة في النظام الداخلي في المدارس الثانوية، وبعد ذلك في الجامعات ...الخ.

إن الفرنسيين كانوا يعتبرون المغرب (وخاصة الجزائر) جزءا من فرنسا ذاتها لذلك عاشوا فيها على أنها أرضهم، واعتبروا سكانها الأصليين جنسا أدنى لا بد أن يرتفع إذا أراد أن يكون مندمجاً له نفس الحقوق.

ومع اختلاف النظرة وتعددها – ففي موضوعنا ، وخاصة في علاقتنا بدول المتروبول métropole تكون المعادلة كالآتي: مجموعة دول متقدمة تتصور دولا متخلفة ضعيفة – كانت مستعمرة من قبل – تنظر إليها من علٍ، تحتقر أفرادها، ولقد كانت فرنسا تدّعي أن مهمتها في المغرب (وفي الجزائر خاصة) هي تمدين هذا الشعب " المتوحش". " هل تظنين بأنهم بشر مثلنا؟ ... فلأنهم متوحشون حاولت فرنسا رفعهم إلى مستوى الحضارة، ولكن لا يمكن أن تحوّل الوحش إلى إنسان ... هذا ما لم تدركه فرنسا"[2].

هكذا خاطبت " ماري" صديقتها " لينا " عند حديثهما عن " أحمد " الجزائري المغترب في فرنسا وعن الشعب الجزائري في رواية "المرفوضون" ولا يخفى على أحد مدى الهوّة السحيقة التي خلقها التواجد الاستعماري في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا ولكن بدرجات متفاوتة " الجزائر نموذجا " .

ولكن بعد انحصار الاستعمار الأوربي نتيجة النضال الذي قامت به شعوب المنطقتين أدى إلى ظهور وضع جديد تجلى في المحاولات النهضوية " القومية " والقطرية.

ولا شك أن تجربتنا مع أوربا، التي مرت بمراحل عدة، منذ الحروب الصليبية، فعصور الاستعمار حتى تجربتنا الحضارية الحالية، تشكل جانبا بارزا في كثير من الأحيان من تاريخ التجربة الحضارية في منطقة المتوسط والشرق الأوسط.

يشهد على حيوية هذه التجربة ما تركته من بصمات على حياتنا في كثير من مجالاتها – الاقتصادية والاجتماعية وحتى السياسية في بعض الأحيان –. وما تركته أيضا من آثار تعد اليوم معالم بارزة في مجال الإنتاج الفكري والأدبي (شمال إفريقيا نموذجا: اللغة الفرنسية الأدب المغاربي المكتوب بالفرنسية. هل هو أدب مغاربي أم أدب فرنسي؟ إشكالية مازالت مطروحة...) نمط التفكير السائد، نمط الاستهلاك ... الخ – كما سنرى بعد حين–.

مع العلم أن " زوال الاستعمار، بشكله الاستيطاني والإحتلالي المباشر، لا يغير كثيرا من طبيعة العلاقات بين المستعمر السابق والمستعمَر السابق" [3] فالذكريات ما تبرح حية دامية محرقة، والمشاعر ما تزال متأججة، والاستغلال الاقتصادي الجديد وغير المباشر ما يفتأ يقوم بنفس دور الاسترقاق الكولونيالي المباشر، وحتى الآن لم تستطع نداءات النظام العالمي الجديد أن " تذيب رغبة الصراع بين الحضارات " [4]

يكتسب موضوع المواجهة مع الآخر خصوصية وحساسية في منطقتنا العربية لأن الأمر لم يتوقف عند رغبة اللحاق بالتطور التقني بل إن الرغبة الكامنة هي أماني التفوق واستعادة الريادة الحضارية.

إن الأمة المستعمرة سابقا ما تزال تفعل عملية المثاقفة "acculturation"، أي استيراد ثقافة الميتروبول محاولة منها اللحاق بالركب الحضاري ومحاولات اقتفاء اثر النموذج الأوربي، حيثما تحس هذه الأمة بدونيتها إزاء ثقافة الغرب. وهذا ما يولد لدى أفرادها الشعور " باختصاء " الفكري مقابل " اختصاء الجنسي " – كما سنرى بعد حين عند الحديث عن تجنيس العلاقات الحضارية– " sexualisation des relations civilisationelle".

في الذاكرة العربية ترتطم هموم ثقافية وحضارية شائكة ذات تفرعات عدة أساسها تحليل نوعية العلاقات التي تشدنا إلى ما يسمى في القاموس السوسيولوجي بالميتروبول métropole أو العالم الغربي (الاستعمار الفرنسي، والإنجليزي) بكل ما في هذه الكلمة من حساسيات وحزازات أملتها ممارسات وظروف تعرفها الدولة التي وقعت تحت نير الحضور الكولونيالي– ولكن بدرجات متفاوتة –.

إن معرفة نوعية هذه العلاقات أو على الأقل صفاتها ومميزاتها تساعد على هيكلة الفكر الوطني – في الدول الخاضعة للاستعمار – وتوضيحه من ناحية الحضور الاستعماري، ومدى انعكاساته، سلبية كانت أم إيجابية على المستقبل والوعي الوطنيين.

ولقد تشكل هذا التواجد الثقافي في حياتنا ممارسة وسلوكا، مما جعل الطبقات المثقفة تقع في تناقضات أهمها: الاحتواء الحضاري والنفسي وبالتالي الأيديولوجي. وكذلك الانبهار غير المبرر أحيانا إلا كتعبير عن العجز الذاتي مما أدى إلى التفكير في ربط آليات التطور المادي والفكري في مجتمعاتنا المحيطة " Périphérique" بالمركز الميتروبولي الذي يتجسد في أشكال ثقافية هشة وغير أصلية وتقنيات زئبقية غير ثابتة تحاول تقليد النموذج الغربي ولكنها تفشل.

ولقد وعى المثقف العربي حساسية العلاقات مع الغرب وأهمية ارتباطها بالواقع العربي، فبلور هذه النظريات التقييمية من خلال أعمال فكرية سواء كانت نقدا أو مسرحا أو رواية.

والغالب على هذه المواقف هو استلهام قيم ومثل الغرب لتضيء سلبيات الواقع العربي المتخلف، وبالتالي اعتبار المتروبول قارب النجاة.

وموضوع المواجهة الحضارية شغل المثقفين العرب ولا سيما العصر الحديث منذ اصطدام الذات بالآخر الاستعماري، إلا أن طريقة التفكير ووسائل المواجهة قد تباينت تبعا لمستجدات الأمور. فالموضوع وتناوله في عهد الاستعمار اختلف عنه في بداية الاستقلال. ثم تطورت بتوجهات أخرى مع ثمانينات وتسعينات القرن العشرين.[3]

إنّ لقاء الشرق والغرب في الرواية العربية خصوصا وعند المثقف العربي عموما يتنوع بتنوع الأفراد والأوطان، التي ينحدرون منها ومدى الوعي الذي يتمتع به هذا أو ذاك، وطالما أن الغرب نموذج قابل للاستلهام " والانبهار " فإن النظرة الأولى لكتاب الرواية العربية كانت " مثالية " ترى في العواصم المتروبولية مجالا لاستيحاء بعض القيم الإنسانية العامة: حقوق الإنسان، الديمقراطية، الفن، الحرية، المثاقفة ... الخ

إن الرواية كنوع أدبي جامع لكثير من التأثيرات نتيجة لحجمها أولا، ولتمتعها بإمكانيات كثيرة – كالسرد والوصف والحوار والتحليل– هي أقدر الأنواع الأدبية على عرض أوضح الصور عن شعب ما. وليس معنى ذلك أن سائر الأشكال الأدبية خالية من صور الشعوب عن بعضها البعض، بل إننا نجد في بعض الأحيان أشكالا أدبية–غير الرواية– زاخرة بالصور كالشعر والقصة والمسرح.

ولقد اصطلح على تسمية " الأدب " ومنه الرواية الذي يتناول بالعرض والمعالجة " كُنه الشخصية الإنسانية، كُنه الإنسان في التاريخ، وكُنه الإنسان في مجتمعه، وكُنه الإنسان في مجتمع غير مجتمعه"[4]

العلاقات الحضارية:

اللقاء مع الآخر خارج الوطن: وتشكل الرواية العربية التي تدور أحداثها في أوروبا الغربية – أولا – والشرقية – بعد ذلك –، أو التي تدور أحداثها في الوطن العربي وأبطالها أجانب – كما سنرى – قلت تشكل إسهاما مهما في حقل الرواية الحضارية التي تكون العلاقات الإنسانية بين الشرق والغرب ممثلة في أبطالها وشخصياتها وهي بمعنى من المعاني تعبر عن وعي الذات ووعي العالم أو تكوين فكرة عن – الآخر – الأوربي والاتصال به.

هذه المسألة قديمة العهد لدى مفكري وأدباء سائر الشعوب وهي لا تفتأ تتوالد وتتعقد. وقد كانت الرواية – كما أسلفنا – مجلىً أدبيا رئيسيا لتلك المسألة.

وبالنسبة للرواية العربية، ومنذ محاولاتها الجنينية سعت كي تكون مجالا لتلك الظاهرة بما تعنيه من استيحاء لأوروبا، وهكذا تتابع إنتاج الطهطاوي، وعلي مبارك، وفرح انطون، ومحمد المويلحي ... ذلك الإنتاج الذي يميل أكثر إلى ما يسمى بأدب الرحلة ولكنه مع ذلك يحمل بذور الصورة الأولى للآخر الأوروبي.

أما في النقلة الأساسية التالية بالنسبة للرواية العربية مع قدوم هذا القرن وبدء "الدخول العربي في العصر الأوربي"[7] بدت محاولات الكتاب الحثيثة لترسيخ وتطوير هذا الجنس الأدبي الوافد، ولم ينتظر الكتاب طويلا لطرق موضوع "الآخر" وهو هنا الأوربي فباسم ثقافة الغرب وحضارته المتطورة علميا ثار " حامد في رواية زينب" لهيكل– أول رواية عربية فنية – على الواقع المصري–الحنبلي – وهو الشاب الذي ابتلعته أضواء أوروبا ومدنيتها، بينما يحرم عليه مجتمعه التحديق في وجه امرأة.

وباسم ثقافة الغرب وعلومه الطبية واجه " إسماعيل" في رواية " قنديل أم هاشم " ليحيى حقي مجتمعه الريفي ورفض الممارسات السائدة فيه، والروايات التي تتناول هذا الموضوع كثيرة ومتنوعة (عصفور من الشرق لتوفيق الحكيم، قنديل أم هاشم ليحيى حقي، أديب لطه حسين، الحي اللاتيني لسهيل إدريس، الأشجار واغتيال مرزوق لعبد "الرحمن منيف"، موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح، هابيل "محمد ذيب"، نيويورك "ليوسف إدريس"، الربيع والخريف "لحنا مينه"... الخ)، من المعارف عليه أن " توفيق الحكيم " أول من عالج موضوع الشرق والغرب روائيا في روايته "عصفور من الشرق " بحيث يجعل بطله " محسن " ينتقل إلى باريس للدراسة، لكن هناك باحثا آخر يرى غير ذلك ويقول: " من البدايات المجهولة" السابقة على ذلك والتي عكست خط الرحلة في الوقت الذي كان توفيق الحكيم يقدم فيه " عصفور من الشرق " تأتي قصة " النداء البعيد، لأحمد مكي، دار المكشوف، بيروت 1939، حيث يأتي الآخر " سيلفينا الفرنسية السانحة، ويستحيل اللقاء بسبب الأهل "[8]

لا ننسى أن القصة قد تناولت موضوع: العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب مع ملاحظة أن " فؤاد الشايب " أول من عالج الموضوع قصصيا9. فقد ضمت مجموعته" تاريخ جرح" أقصوصتين " من وحي باريس" هما " أحلام بولاند " و " الشرق شرق "

جرح" أقصوصتين " من وحي باريس" هما " أحلام بولاند " و " الشرق شرق " وحسب نفس الكاتب فإنه يمكن تحديد تاريخ المجموعة بعام **1944** وأن مؤلفها " فؤاد الشايب " في تقديمه لها يذكر أن قصصها جرت في روعي وحياتي وتحت قلمي بين أعوام **1930** و **1940**. وليس هدفنا هنا البحث عن أسبقية الرواية على القصة أو القصة على الرواية في موضوع العلاقة بين الشرق والغرب، ولكن للإشارة إلى تعدد الأنواع الأدبية التي تناولت الموضوع.

حملت الكثير من الأعمال الروائية العربية، همّ العلاقة المباشرة بالغرب، والاحتكاك الحضاري هنا يأخذ شكلا واقعيا.

وتشترك الروايات الأولى في كون " البطل " طالب عربي، يعيش في أوروبا طلبا للعلم، بمعنى السفر للدراسة، وإن اختلفت الآثار التي يولدها السفر، من رواية لأخرى، تبعا للظرف المعقد الذي يحمله بطل الرواية معه في إقامته القصيرة عادة في الخارج.

الرواية المغاربية والعلاقة مع الغرب: يمكن للمدقق أن يلاحظ أن الرواية في شمال إفريقيا وإن تخلفت نوعا ما عن الظهور من الناحية الزمنية فإنها لا تخل رواية واحدة تقريبا من تجسيدها لفكرة العلاقة الحضارية بحكم الاحتكاك المباشر مع الآخر (فرنسا) في الوطن الأم أولا ثم في العاصمة المتروبولية بعد الاستقلال أثناء هجرة "المغاربة" إلى الدولة الاستعمارية سابقا للعمل بفعل الفقر والاحتياج وكان ذلك أولا في الرواية المكتوبة باللغة الفرنسية كما في رواية: " الأرض والدم " لمولود فرعون حيث: ماري **marie** زوجة (عامر) العامل الجزائري بفرنسا تزوجها ثم اصطحبها إلى الجزائر إلى قرية نائية في منطقة القبائل الكبرى ودخلت القرية البئيسة مبتسمة وكأنها ملكة تدخل مدينة، أثارت شفقة القبائليات على عامر وأثارت إعجابهن أيضا فهي تختلف عنهن بجمالها ودقة ملامحها وتناسقها وصفاء بشرتها ووجهها الزاهي الألوان ورقة يدها ونوعية ملابسها، فهي لا تعتبر أجنبية فحسب لأنها من عالم آخر يختلف عن عالمهن .... وأعجبت (ماري) بالطبيعة المحيطة بالقرية وأسرعت لتنعم بها فلبست ملابس خفيفة وخرجت مع زوجها إلى الحقول. تتذكر بلدها فرنسا وتحن إليها، ولكن الحقيقة والواقع يجذبانها إلى الحياة الهادئة والطمأنينة والاحترام والتقدير الذي تنعم به فتحمد الله على الشعور بالإنسانية التي وجدتها مع زوجها في تلك القرية النائية وبين أولئك الناس القانعين بمصيرهم ولم تجدها في بلدها فرنسا بل وفي

باريس مدينة العلم والنور، هكذا يقول السرد الروائي وحتى بعد وفاة زوجها قررت "ماري" البقاء مع أهل زوجها وأهل "القرية بين أولئك الناس الذين وهبوها الطمأنينة والاحترام."[11]

ولدينا أمثلة كثيرة على وجود العلاقات الحضارية في الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية لدى اغلب كتابها، فمثلا شخصية المثقف لدى مالك حداد، سأهبك غزالة: جان دوروك، الأفيون والعصا لمولود معمري، اوبير الرب في بلاد البربر لمحمد ديب وهكذا لدى كاتب ياسين في (نجمة) شخصية مارسيل المعلمة.

لقد استطاع الباحث "عبد المجيد حنون " في رسالته للماجستير" صورة الفرنسي في الرواية المغربية" أن يلم بالموضوع من جميع جوانبه، وتناول بالدرس والتحليل الشخصيات الفرنسية كما تمثلها الروايات المغاربية (الجزائر، تونس، المغرب) المكتوبة بالفرنسية والعربية فحصلنا على:

شخصية: الحاكم، القاضي، الجندي، رجل الأمن، الممرضة، رجل التعليم، الفتاة، التاجر، زوجة المغربي، شخصية المثقف، الطبيب... الخ.

ولنا بعد ذلك في الإنتاج الروائي الجزائري (المكتوب بالعربية) نماذج أخرى تتناول شخصية الأجنبي وخاصة الفرنسي (اللاز) للطاهر وطار– (الضابط)، وفرانسواز في رواية " مالاتذروه الرياح" لعرعار محمد العالي، و" ماري وجان ولينا وسوزان..." في رواية " المرفوضون " التي تدور أحداثها في فرنسا وليس في الجزائر والقصة التونسية في فترة ما قبل الاستقلال لم تخل بدورها من هذا الموضوع مع قلة النماذج التي تناولته واختلاف مستوى المعالجة بين كاتب وآخر[11].

ولعل خير من يمثل هذا الموضوع ثلاث قصص هي: ثمن المجد لتوفيق بوغديو والشقير لفريد غازي والرماد لمحمد لعريبي. والقصة الأولى عبارة عن قصة حب رومانسي بطلا القصة رسام عربي وممرضة غربية، والرواية العربية المغربية لا تضم كلها شخصيات (فرنسية) ولكن نجد في بعضها إشارات عابرة وقليلة وخير من يمثل ذلك رواية (دفنا الماضي) لعبد الكريم غلاب ورواية (المعلم علي) لنفس الكاتب ورواية (بامو) لأحمد زياد ورواية (الماضي البسيط) لإدريس الشرايبي.[12]

إن عملية المثاقفة بافتراضها وجود طرفين: موجب وسالب، فاعل ومنفعل، ملقح وملقح، تطرح نفسها كعملية ذات حدين مذكر ومؤنث. والثقافة الحديثة ثقافة ذكور ومن هنا فالمثاقفة " لا توقظ في الطرف المتلقي – وهو هنا الشرقي العربي – إحساس بالدونية المؤنثة بقدر ما تبعث فيه شعورا مرهقا بالخصاء الفكري "[13]

يخامر مثقف المستعمرة السابقة شعور مزهو بالرجولة هو بأمس الحاجة إليها إزاء سيادة الثقافة المتروبولية. يعود هذا المثقف إلى الماضي الثقافي لأمته فيجده ضعيفا غير كاف لمقارعة الثقافة الغربية. وهذا بحد ذاته لا يمكّن المثقف الشرقي أن يسترد اعتباره كرجل في نظر نفسه. والأدهى من ذلك أنه بأمس الحاجة إلى أن يستعيد رجولته في نظر الطرف الفاعل في عملية المثاقفة بوصفها " علاقة تحد وسيطرة وعنف وحتى اغتصاب "[14]

وليس من قبيل المصادفة أن تكون جميع الروايات العربية – الأولى على الأقل – التي عالجت قضية العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب ابتداء من عصفور من الشرق ومرورا بالحي اللاتيني لسهيل إدريس ووصولا إلى موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح. قد اختارت إطارا مكانيا لها باريس ولندن أي بالتحديد عاصمتا الدولتين المتروبوليتين السابقتين. فكأن الغرب ليس غربًا إلا في هاتين العاصمتين، وكأن الشرقي ليس شرقيا إلا فيهما. وكأن لا معنى للتحدي في غيرهما. يصدق هذا على روايات المراحل الأولى أما المراحل اللاحقة فقد تطورت الأمور وتغيرت الخواصر والعواصم (الجزائر – روسيا – النمسا – أمريكا – السويد – الدانمرك، ...الخ) وفي إسرائيل كما في رواية صبح القاسم (إلى الجحيم أيها الليلك).

بطل رواية الصدام الحضاري:

ثمة ملاحظة أخرى ستدعي الانتباه في هذه الروايات " الحضارية " وهي أن أبطالها في غالبيتهم من المثقفين – في المشرق خاصة – الذين قدموا للغرب طلبا للعلم أو الأدب أو الفن" وكل رواية هي بمثابة تجربة ذاتية، مع ملاحظة أن روايات المراحل اللاحقة أبطالها مثقفون هربوا من أوطانهم بحثا عن الأمان والحرية وخوفا من قبضة السلطان ممثل: "الاستبداد الشرقي" كما في رواية " شرق المتوسط " لعبد الرحمن منيف وهنا وفي مثل هذه الروايات تتغير النظرة ويتبدل الحضور في هذه العاصمة أو تلك من أوربا والعالم ويمكن

بعدها أن تصبح مكانا لممارسة النضال ضد الظلم والاستبداد. الممارس من طرف الأنظمة العربية، (رجب في شرق المتوسط) لعبد الرحمن منيف.

إن المثقف الآتي من المجتمع الكولونيالي يصدّق أولا لعبة "المثاقفة " المتروبولية. يؤخذ بها. ويسلم بمنطقها بمعنى انه يعترف " بتجنيس العلاقات الحضارية" " sexualisation des relations civilisationelle " ويقبل لا شعوريا على الأقل، بأن يقيم علاقة تساو وتجانس بين الثقافة والرجولة. وتصبح الثقافة بعدها رجولة والرجولة ثقافة. فإحساسه بالخصاء الثقافي لا يزيده إلا تشبثا بذكورته.

وكان لتسليمه بذلك رد فعل على سلوكاته في الحاضرة المتروبولية ذلك أنه – حسب رأيه أي المثقف الشرقي– فالعلاقات بين الأمم والحضارات هي كالعلاقة القائمة بين الرجل والمرأة: علاقة قوة وتحكم وسيطرة. وبالتالي استسلام ورضوخ ومعاناة. ومن هنا فقد تبنّى التصور المتروبولي القائل بأن المثاقفة مجامعة.

وطالما أن الأمور تسير على هذا المنوال فإنه يشعر بدوره " المنفعل " وليس " الفاعل " في عملية المثاقفة طبعا فيشعر بطعنة في صميم رجولته. ومن هنا فإنه حين تتاح له الفرصة للرد، فلن يرد كمثقف وإنما كذكر " مصطفى سعيد في رواية موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح مثالا". " " مصطفى سعيد يا حضرات المخلفين إنسان نبيل استوعب عقله حضارة الغرب، لكنها حطمت قلبه ..."[15] هكذا خاطب البروفسور " ماكسويل فستركين" المخلفين دفاعا عن " مصطفى سعيد " وهو متهم بقتل فتاتين. وترتكز رواية " عصفور من الشرق " لتوفيق الحكيم حول علاقتين:

- العلاقة مع الفتاة الفرنسية " سوزي ديبون " حيث يسمح مفهوم هذه العلاقة باضاءة مفهوم العلاقة مع المرأة والمنظور الذي يحدد رؤية المرأة الغربية.
- العلاقة مع العامل الروسي " ايفان " التي تسمح للبطل بتوضيح مفهومه للغرب والشرق.

إن أول ما يستوقف النظر في هذه الرواية هو الغياب الكبير للشعور بالقهر الاستعماري ذلك أن الكاتب لا تربطه بفرنسا روابط استعمارية مباشرة ما عدا إتقانه اللغة الفرنسية ومرور فرنسا الكولونيالي بمصر قصير المدى، ولعل من الأمور المثيرة للدهشة والاستغراب أن محاولات الرواد بداية من رحلة رفاعة الطهطاوي وعصفور من الشرق

لتوفيق الحكيم وصولا إلى الحي اللاتيني لسهيل إدريس وأديب طه حسين وقنديل أم هاشم ليحيى حقي لم تتعرض للمواجهة الحضارية من منظور المستعمر والمستعمَرعلما بأن دول المنطقة وقتها لم تحصل على استقلالها ولعل السر في ذلك أن أبطال تلك الروايات " ذهبوا إلى أوروبا طلبا للعلم ومن هنا اختفى موضوع العداء المباشر للمستعمر واستبدل بموضوع الدهشة بمظاهر الحضارة والتطور العلمي ..."[16]

ومن هنا يمكن إعطاء عنوان آخر لهذه الرواية لتعبر عما ترمز إليه في إطار العلاقات الحضارية بـــ: هجاء الغرب بتأنيثه. يقول الراوي: " لقد فهم الشرق أن فتاته ليست إلا غانية خليعة، لا قلب لها ولا ضمير، وليست لها أية قيمة روحية ولا خلقية، وان مآلها السقوط، ممزقة الجسد .... الذي تشرق نوافذه من جهة على المحيط الأطلنطي ومن الجهة الأخرى على البحر الأسود"[17]

النظرة إلى المرأة الغربية في عصفور من الشرق:

إن " سوزي " هي حيز ليسقط فيه الفنان أحلامه، لا يتحرك ولا ينفعل إلا بقدر حجم الموجة التي يطلقها القطب " محسن " لقد رسم لها صورة مثالية في مخيلته وأراد أن يحافظ على هذه الصورة نقية كما هي، لقد وضعها موضع " الملكة " ولذلك كان لمثل هذه التصورات والشطحات ما فوق الواقعية ردود أفعال ساخرة من طرف الآخرين، وحتى من قبل صديقيه: جارمان وأندري.

" أهذه المرأة في باريس؟ أم في كتاب ألف ليلة وليلة؟ تقول جارمان وهذا أندري يقول بدوره: وهذا الشباك أين هو؟ في أي قصر سحري؟ " يقصد شباك المسرح الذي تبيع فيه " سوزي " التذاكر، إن " محسنا " لا يعشق قاطعة تذاكر إذن، وإنما هو يهيم بملكة، ملكة تقيم في قصر ليس له شبيه حتى في قصور ألف ليلة وليلة، تقيم في عقل "محسن" وفي مخيلته، ملكة لا سبيل إلى مقارنتها بأي امرأة موجودة في الأرض، بل لا سبيل حتى إلى الاتصال بها، لأن محسنا يريد أن يتألم بهذا الحب وما وقوفه أمام تمثال " الفرد دي موسيه " تحت المطر الغزير في الوقت الذي لجأ الناس فيه إلى مظلات، المشارب والحوانيت ومداخل المترو "ومحسن" هو الآدمي الوحيد الذي بقي تحت المطر يتأمل العبارة المنقوشة تحت التمثال " لا شيء يجعلنا عظماء غير ألم عظيم "18. إنه يبحث عن التفرد ويتلذذ به، إنه يبحث عن

الألم، والألم في الهجر والبعاد وليس في الوصل واللقاء لذا كان يتميز أن تظل سوزي صامتة.

فالاحتكاك هنا هو احتكاك من الخارج يرسم إطاراته داخليا إنه الملامسة وليس الاندماج.

وحضور المرأة حضور حضاري، والتناقض الحضاري مع المرأة الغربية، هو تناقض يتكشف حول نقطة واحدة فالحوار معها حوار مستحيل، والعلاقة بالتالي علاقة استحالة يفرزها عدم القدرة على رسم إمكانية حوار متوازن، وإمكانية صراع متكافئ، فعند ما علم محسن بخيانة سوزي له واستهزائها لحبه يخرج من المطعم الذي جمعهما، ويكتب الحكيم: " ومضى على عجل" دون أن ينظر إليها، وخرج من المطعم خروج آدم من الجنة! ..."[19].

الشرق حاضر في الرواية، حاضر في " السيدة زينب " التي كتب الحكيم إهداء روايته لها: " إلى حاميتي الطاهرة السيدة زينب "[20]

وهو حاضر في الحلم النبوي هذا الحضور ينبع أساسا من مسألة العلاقة بالغرب المادي، والذي يطرح المسألة هو " ايفان " العامل اليائس من حضارة الغرب وفي نفسه حرقة لأنه يود زيارة الشرق قبل أن يموت، لكنه مات قبل أن يراه لأن الشرق الذي يحلم به تلوث بحضارة الغرب الزاحفة إليه.

فمحسن وايفان يصيغان نظرة متكاملة لعلاقة الشرق بالغرب فلنستمع إلى نظرة ايفان حول الشرق: " ... ولماذا السرعة؟ ولماذا توفير الوقت؟ ما حظنا من سرعة التيار واندفاعه إلى البحر؟ إنما حظنا الأكبر في التمهل حول الأعشاب النابتة، لقد خسرنا تلك الرحلات الطويلة على ظهور الجياد والإبل ... نعم بالطبيعة، نعم كسبنا السرعة وخسرنا ثروة النفس التي تنمو باتصالها المباشر بالطبيعة"[21]

إن مصيبة الغرب في صناعته الحديثة " لنلاحظ كيف أصبحت الأمور مقلوبة " وبمعنى آخر يجب على الشرق أن يتخلى عن أعظم انجاز وأروع فتح في تاريخ البشرية أي الصناعة الحديثة كي يرضى عنه ايفان ومن وراءه توفيق الحكيم إنها نظرة رجعية بكل المقاييس ومن كل الجوانب وخلاصة نظرة الحكيم إلى العلاقة الحضارية مع أوربا يمكن إيجازها في جعل بطله محسن يسارع إلى الالتفاف حول أفكار ايفان وتحليلاته الكونية ويدمج فكرته هو معه ليصبح التطابق كاملا بينهما فإذا كان ايفان يشبه أوروبا بفتاة شقراء جميلة

إذ أن "... آسيا وإفريقيا ارتبطا بالزواج في طور من أطوار التاريخ. وأنجبتا مولودا جديدا: هذه الفتاة الشقراء التي تسمى أوروبا" رشيقة ذكية. لكن خفيفة أنانية لا تعنيها إلا نفسها واستعباد غيرها[22]. ولا تسمح للناس إلا أن يعيشوا في عالم واحدا فإن " محسن " يسارع على الفور في احتضان هذا الرأي موحدا بين أوربا "وسوزي" المرأة.

" نعم أنانية لا تعرف غير حياة الواقع. ولا يهمها شقاء الغير ولا تحب الحياة إلا في.... الحياة "[23]

نعم إنه ذنب أوربا. وسوزي. والمرأة " لا تحب الحياة إلا في ... الحياة " بينما لا يُحب محسن الحياة إلا في ما وراء الحياة ! هذا الهرب الدائم من الحياة. من حقيقة سوزي إلى تمثالها من المرأة إلى شبح المرأة يجد تتويجه في هرب ايفان. ومن ورائه محسن (ومن ورائهما الحكيم) من أوربا الواقع إلى شرق الأحلام ...

المرأة الغربية في الحي اللاتيني: تطرح رواية سهيل إدريس المسألة من زاوية ثانية فهي تخبرنا بقصة طالب لبناني ذهب إلى باريس للدراسة ورغم أن البطل شاعر. إلا أن الهم الفني ليس في المقدمة. بل الهم الرئيسي كما يظهر من الرواية هو القضية القومية.

تنطلق الرواية من تفاصيل رحلة الشاعر إلى باريس بالسفينة ونعرف أنه يريد التخلص من ماضيه كما نقف على عواطفه تجاه أهله وبلاده. والتخلص من ماضيه ينبع أساسا من شعوره بالغربة عن هذا المجتمع. منطلقات الرحلة هذه يحكمها في فترة إقامته الأولى إلى باريس حاجة ماسة إلى المرأة الغربية. ومن هنا فإن بطل الحي اللاتيني لم يقصد باريس بصفتها عاصمة النور. وإنما بصفتها عاصمة المرأة. يقول مخاطبا نفسه: " تبحث عنها... عن المرأة تلك هي الحقيقة التي تنساها. بل تتجاهلها. لقد أتيت إلى باريس من أجلها"[24].

يفشل في الاتصال بالمرأة الغربية عدة مرات بطريقة مخزية فالأولى لم تأبه لموعده. والثانية سرقت دراهمه. والثالثة تخلصت منه بسرعة.

أما العلاقة " بجانين" الفتاة الفرنسية فهي علاقة مضطربة لأنها تتعلق به بعد اكتشاف خيانة حبيبها لها (نلاحظ هنا التشابه مع محسن وسوزي في عصفور من الشرق) تبحث عن الحب والعمل. وشاب ضائع في زوايا باريس وشوارعها يبحث عن إرواء عطشه الجنسي. وعيناه مشدودتان إلى العودة.

يتعرض البطل بعدها إلى نوعين من الضغوط: الضغط الأول تفرضه عائلته بعد أن اكتشفت سر علاقته بجانين، فهي تريد قطع العلاقة، ولا تريد الاعتراف بالطفل الذي حبلت به الفتاة الفرنسية، والضغط الثاني تمارسه " جانين" فهي تبلغه أنها حبلت منه، وتسأل رأيه في مصير الطفل، والحل الذي يختاره هو أسهل الحلول فهو يخضع لضغط عائلته، ويكتب إليها رسالة يرفض فيها الاعتراف بأبوته للطفل، ويعلم بطريق الصدفة أن صديقته أصبحت فتاة هوى، فيستيقظ ضميره ويعرض عليها الزواج لكنها ترفض العرض، لأنها في الحضيض وهو في القمة حياتها انتهت وحياته لا تزال في بدايتها، وهو يرسم مستقبلا نضاليا هاما لنفسه، فهو منقاد إلى النضال في سبل قضيته القومية، ويريد توظيف دراسته ومستواه العلمي في هذا السبيل، لذا حين يعود إلى بلاده فإنه يصالح واقعه من منظور " ثوري " فيرى رفيق نضاله قبل أن يرى والدته ... فكيف يظهر الغرب من خلال هذه الرواية؟

يظهر بمظهر المتحرر جنسيا فالبطل لا يرى الغرب إلا من خلال المرأة، وبعد المرأة يرى الشعر والفن والمسرح، لكن المرأة هي القضية الأساسية، فهو يعالج كبته بالعلاقة معها. البحث عن العلاقة هي أول ما يطالعنا في الرواية، هذا البحث رغم فشله المتتالي لا يستقر إلا عندما يجد المرأة التي تأنس إليه وتقبله، وتصبح بعدها أساس كل معاملاته فيصبح للقاءات مع صديقه " فؤاد" معنى ويتناقش معه حول الهموم السياسية والقومية، وحول تخلف بلادهم الثقافي.

إن اللقاء بالفتاة الفرنسية يحمل " أزمة " الالتقاء بالغرب هذه الأزمة التي تحملها " أمه " دائما وتذكره بها.

تلعب الأم في الرواية دورا مزدوجا، فهي أم حقيقية تحب ابنها وتقيم معه علاقة عاطفية عادية، غير أنها في الجهة المقابلة تحمل على كاهلها جميع العادات والتقاليد فتصبح في هذه الحالة رمزا هاما.

وهي ضمير " البطل " الذي يربطه بأسلوب حياة بلاده، هي التي تصر على تزويجه، وضغطها عليه هو العامل الحاسم الذي يدعوه إلى فك ارتباطه بجانين، والأم كذلك هي المرأة الشرقية، هي صديقته التي تركها في بيروت.

ما يلاحظ على هذه الرواية هي تعاملها مع الغرب بنوع من " الهدوء " الذي ساد أيضا رواية الحكيم " عصفور من الشرق " تتناول الرواية دعوة ضد الشعوبية والفرعونية

والفينيقية ولا نرى إدانة في علاقة الطالب بالاستعمار الفرنسي. وهذا هو الفرق الجوهري- على ما يبدو – بين الرواية في المشرق والرواية في المغرب – خاصة الجزائر – وذلك من حيث إدانة المستعمر وكل ما يمثله من رموز.

ومن هنا فالرواية تؤكد على مفهومين:

1– **المصالحة**: يظهر ذلك من أنه في بداية رحلته يريد القطيعة مع بلاده " لا. أرجوك، لا موجب للعناق يجب أن نقلع عن هذه العادة الشرقية السخيفة " لكنه بعد انقطاع علاقته بجانين يعود إلى أمه ليصالحها.

فالمصالحة مع المرأة الغربية ممثلة في " جانين " مستحيلة. أما مصالحته مع أمه فتأتي كنتيجة لمصالحته مع واقع بلاده.

2– **العلاقة العابرة بالغرب**: فالعلاقة مع الغرب، هي علاقة عابرة علاقة تماس لا تهدف سوى إلى تأكيد الذات، وبعدها العودة للشروع في الثورة القومية التي تكشف المسار الذي تأتي ضمنه، هذه العلاقة العابرة لا تتوقف عند المرأة بل تتجاوزها لتصل إلى الذات.

يلاحظ على الرواية ميلها إلى المضمون الرومانسي الذي عطل حركة التفاعل مع الغرب وإنهاء العلاقة مع " جانين " بشكل ميلو درامي أفقد الرواية نوعا من حرارتها التي كان من الممكن أن تحتويها.

الهجرة الجديدة: لا يمكن الحديث عن الرواية " الحضارية " أو " تجنيس العلاقات الحضارية " بين الشرق والغرب دون الحديث عن رواية " موسم الهجرة إلى الشمال " للطيب صالح لأسباب متعددة:

- لأنها تمثل تجربة أكثر وعيا ونضجا.25
- ولأنها استفادت من التجارب السابقة في هذا الموضوع.
- ولأنها بعد ذلك استطاعت أن توظف الكثير من إنجازات التقنية الروائية العالمية والأوروبية على الخصوص.
- ولأنها استطاعت أن تطرح وتتحكم في مضامين العلاقة التي تحكم تجنيس العلاقات الحضارية من منطلق الشرق والغرب.

تطرح الرواية العلاقة مع بريطانيا الثقافة، وبريطانيا السياسية. وهي بذلك تتجه اتجاها آخر صوب عاصمة متروبولية (استعمارية)، أخرى لها لغتها وثقافتها وطريقة استعمارها للشعوب.

إن الرواية تريد أن تقول:

- رفض المصالحة مع الواقع الثقافي من منظور الثقافة المتروبولية.
- نقض المصالحة مع الواقع السياسي الاستعماري.

تنطلق الرواية من السودان لتنتهي أحداثها في السودان، ولكن بين الانطلاق والعودة يخبرنا السرد الروائي عن طريق – الراوي – تجربة مصطفى سعيد وتاريخ علاقته به، لان الراوي عاش تجربة مشابهة لتجربة مصطفى سعيد في أوربا لكنه ملتصق بواقعه وتاريخه أكثر وهو في توافق مع محيطه.

تعج الرواية بالرموز والإشارات التاريخية والعلاقات المرموز إليها عن طريق احتكاك " البطل " بغيره من النساء الغربيات خاصة – ليتحقق له الأخذ بالثأر القديم " جنتكم غازيا ... ولكن بـــ ..." ومن جمهور نهاره كان يتخير ضحايا ليله "آن هممند" كانت طالبة تدرس اللغات الشرقية، "شيلا غرينود" كانت خادمة في مطعم، و"إيزابيلا سيمور" فرنسية اصطادها في ركن الخطباء في حديقة "هايد بارك"، وجين مورس التي طاردها ثلاث سنوات وعندما تزوجها واقترب منها تمنعت له واحتقرته... "إيزابيلا سيمور" متزوجة وتتعلق بمصطفى سعيد ... إن القاسم المشترك الذي يجمع أحداثا كثيرة في الرواية هو: الموت – كما سنرى –

تقول له " زوجته " جين مورس بعد أن تمنعت له:

"هذه الليلة لك أنت وحدك، أنا انتظرك منذ وقت طويل"[26]

فيما يناجي مصطفى سعيد نفسه حين تقول له أيضا:

" هذه الليلة ليلة الصدق والمأساة "[27] وقتلها.

إن ما يمكن استخلاصه من هذه الحادثة وهذا المشهد أن: "جين مورس" تمثل أوربا الشابة في عنفوان شبابها وقوتها: فهي التي تقرر شروط الحرب والسلام وظروف الاستسلام والخصام كما أنه يمكننا أن نفهم أن جريمة القتل وحدها هي التي تحمل للطرفين شيئا من الإحساس بالصميمية واللذة المشتركة.

مصطفى سعيد كان عالما و"جين مورس" كانت عالما، ولم يكن بين هذين العالمين من سبب غير الصراع والعنف.لأنه لم تكن هناك طريقة أخرى لامتلاك "جين مورس "غير اغتيالها. مثل هذه المشاركة المطلوبة أو التي يفترض أن تكون بين هذين العالمين (الشرق والغرب) معدوم في تاريخ العلاقة بأكملها، فكان الطرفين لا يلتقيان إلا على حافة الموت، حين يهلك أحدهما الآخر. وسنرى بعد ذلك أنه كلما تعمق فعل الموت بينهما تعمقت المشاركة: " وضعت الخنجر بين يديها ... ضغطت ببطء فتحت عينيها، أي نشوة في هذه العيون؟ وبدت لي أجمل من كل شيء في الوجود. قالت بألم: يا حبيبي ظننت انك لن تفعل هذا أبدا كدت أيأس منك"[28]

وللحظة تتوهم أن مصيرهما مشترك فتسعى لأن تجره إلى الفناء بعد أن عجزت عن تدبير هلاكه " وضغطت الخنجر بصدري... وأخذت أدعك صدرها بصدري وهي تصرخ متوسلة: تعال معي تعال، لا تدعني اذهب لوحدي"[29] لقد كانت بها شهوة الموت مما جعل مصطفى سعيد يقرر: " غرقة نومي ينبوع حزن، جرثوم مرض فتاك، العدوى أصابتني منذ ألف عام، لكني هيجت كوامن الداء حتى استفحل وقتل"[30] يقول "مصطفى سعيد" ذلك وهو يتذكر ثلاث نساء انتحرن في حبه: فتاتان هما آن هَمْنْدْ وشيلا "غرينود" وسيدة متزوجة هي "إيزابيلا سيمور"، غير أنه لا يدان بانتحارهن. فأستاذه البروفسور ماكسويل، يقول في الدفاع عنه في المحكمة: " ومضى البروفسور ماكسويل يرسم صورة فريدة لعقل عبقري دفعته الظروف إلى القتل، في لحظة غيرة وجنون ... وروى لهم أن آن همند وشيلا غرينود كانتا فتاتين تبحثان عن الموت بكل سبيل وأنهما كانتا ستنتحران سواء قابلتا مصطفى سعيد أو لم تقابلاه"[31] .

ويعلل البروفسور ذلك بتحليل مبتذل لكثرة استعماله " مصطفى سعيد يا حضرات المحلفين إنسان نبيل استوعب عقله حضارة الغرب، لكنها حطمت قلبه، هاتان الفتاتان لم يقتلهما مصطفى سعيد ولكن قتلهما جرثوم مرض عضال أصابهما منذ ألف عام"[32] فماذا حدث قبل ألف عام؟ ما تلك الجرثومة؟ ما ذلك المرض العضال؟ إن المرض مرض أوربي والجرثومة جرثومة " العنف الأوربي" وقبل ألف عام عرض العنف الأوربي أول تظاهرات: الحملات الصليبية تليها بعد ذلك الحملة الاستعماري الحديثة (مع ملاحظة أن أوربا لم تكن كلها استعمارية...).

ويلخص مصطفى سعيد مسلكه تجاه الغرب بأنه جزء من مسلكهم التاريخي، وأنه يقوم برد الفعل والثأر ليس إلا.

"البواخر مخرت عرض البحر أول مرة تحمل المدافع لا الخبز، وسكك الحديد أنشئت أصلا لنقل الجنود، وقد أنشأوا المدارس ليعلمونا كيف نقول " نعم " بلغتهم، إنهم جلبوا إلينا جرثومة العنف الأوربي الأكبر الذي لم يشهد العالم مثله من قبل في السوم وفي فردان، جرثومة مرض فتاك أصابهم منذ أكثر من ألف عام: نعم يا سادتي، إنني جئتكم غازيا في عقر داركم، قطرة من السم الذي حقنتم به شرايين التاريخ، أنا لست عطيلا، عطيل كان أكذوبة"[33]، هذا المقطع المطول نوعا ما يلخص نظرة مصطفى سعيد إلى الغرب حيث يقلب الأمور ويغزو المستعمر في عقر داره ويحاول الأخذ بالثأر – بطريقته طبعا – ويحاكم المستعمر ويكشف أسراره أثناء محاكمته هو.

إن لغز الرواية هو الموت يبثه مصطفى سعيد حيثما حلّ وأنى رحل، مسّ الإنجليزيات فانتحرن أو قتلن، ثم غادر انجلترا بعد أن خرج من السجن وأقام في قرية نائية في السودان، وتزوج امرأة وأنجب طفلين ثم غرق في نهر النيل في ليلة من ليالي فيضانه الصيفي، ولكننا نفاجأ بأنه ترك وصية جعل فيها " الراوي " وصيا على الطفلين، باعتباره كان في انجلترا ثم تعترف زوجته بأنه قبل موته بيومين استدعاها وأوصاها خيرا بالولدين وجمع ديونه ورتب أموره، فهل غرق؟ أم انتحر؟ أم رحل؟ إن جثته لم تنتشل من النهر، ولا أثر يدل على موته.

ولكن عجوزا يخطب الأرملة ويوسط لها " الراوي " الوصي فتقول الأرملة للراوي: " إذا أجبروني على الزواج فإنني سأقتل واقتل نفسي" وهكذا يكون لقد أضاف مصطفى سعيد إلى قائمة ضحاياه ضحيتين أخريين ... وليس هذا فقط بل إن " الراوي " المثقف ذاته يكتشف أنه أحب الأرملة واهتز لمقتلها، فيلقي بنفسه في النهر لكي يتخلص بالسباحة من هواجسه، فيكتشف أنه قام بعمل انتحاري، وحين يكتشف هو الآخر ذلك يشحذ كل عزيمته للتشبث بالحياة ومصارعة أمواج النهر العظيم.

ومن هنا كان لنا أن نستخلص أن:

– مصطفى سعيد وهو حين يروي حكاية سفره إلى أوربا فإنه يعتمد التذكر – الفلاش باك – المونولوج الداخلي – تدمير الفواصل الزمنية – إنه بناء لا منطقي لأنه نتيجة علاقة لا منطقية.

يذهب أحد الكتاب إلى نقد هذا الطرح اعني حصر الصدام بصورة رومانسية في إطار " فرد " هو البطل في كل الروايات. فرد شرقي يعاني صدمة حضارية مرة أو مرتين في العمل الروائي، مرة حين يظل مؤقتاً في الغرب – سنوات – ومرة حين يعود إلى الشرق بمكتسباته النفسية والعقلية يقضي بقية عمره ....

لقد حاولت في روايتي " رواية أصوات والحديث لسليمان فياض نقل تجربة الصدام ... من دائرة الفرد إلى دائرة المجموع"[35] ويقصد بذلك عكس خط السير من أوربا إلى الوطن وجعل " الآخر " ينتقل إلى العيش في الوطن العربي كما في " أصوات " وقد رأينا قبل هذا كيف عالج الروائي الجزائري هذه القضية في الرواية المكتوبة بالفرنسية كما في رواية " الرب في بلاد البربر " لمحمد ذيب حيث شخصية " جان ماري إيمار" أستاذ الرياضيات في الجزائر – بعد الاستقلال – وكذا في رواية التلميذ والدرس لمالك حداد حيث نرى صورة " الحاكم " الإداري ديبلوماسيا لبقا لا يجري وراء الفتيان أو الفلاحين المضربين عن العمل بل يسعى لاحتواء طبيب هو المثل الأعلى للمدينة.

ثالثا: الجفاء والتباعد وسوء التفاهم: يلاحظ الدارس للروايات الثلاث (ولأغلب الروايات التي تتناول موضوع العلاقات الحضارية) أنها تنتهي دائما بسوء تفاهم حاصل من اختلاف النظرة إلى الآخر.

فمحسن في عصفور الشرق يخرج خائبا من علاقته مع سوزي وإيفان أيضا ويجد خلاصه في " شرقيته " وفي السيدة زينب وبطل " الخي اللاتيني" لا يعترف ببنوة طفله ويعود إلى الوطن ليتصالح معه ومع أمه ويبدأ رحلة البناء القومي مع صديقه " فؤاد " معتمدا على وسائل " غربية "...

ومصطفى سعيد بطل موسم الهجرة إلى الشمال ينتهي في النيل غرقا ... وهكذا يخيم على رواية " اللقاء الحضاري " نوع من الفاجعة أساسها سوء التفاهم الحاصل بين الطرفين.

ويعدد " محي الدين صبحي " في كتابه " عوامل من التخييل "36 ثلاثة أمثلة لهذه الظاهرة، ويصل إلى نتائج هامة من خلال تحليله لشخصية " عطيل " لشكسبير فعطيل قائد مغربي يعمل في جيش فينيسيا يقتل زوجته ديدمونة بدافع الغيرة ليكتشف فيما بعد براءتها وأنه أساء فهم تصرفاتها وتعبيراتها.

وكذلك العلاقة بين مصطفى سعيد وجين مورس التي تنتهي بالموت الحاصل من سوء التفاهم وانعدام شروط التلاقي بينهما. أما المثال الثالث فهو في رواية " الغريب" لألبير كامي بطل الرواية " ميرسو" يقتل شابا جزائريا بالمسدس ولم يكن بينه وبين الشاب أي خصام أو مشكلة ولكن " ميرسو " يقوم بفعلته تلك عندما رأى الشاب الجزائري يحمل في يده مُدية، استلّها من جيبه عندما تعارك مع احد أصدقاء " ميرسو" الذي كان على علاقة بأخته ويتشاجران. إن الشاب الجزائري وقف مستلا مُديته لكنه لم يهجم على " ميرسو " ومع ذلك يشهر " ميرسو " مسدسه ويطلق النار على الشاب فيقتله.

وحين يسأل "ميرسو" عن سبب جريمته؟ يجيب: " الشمس هي السبب!"

هذه الشمس هي شمس جزائرية تشع على ارض جزائرية في إفريقيا ولا يحتمل هذه الشمس أو يتأمل معها غير الجزائري، أما الأوربي فيشعر أنه غريب على هذه الشمس، غريب عن هذه الأرض، إن الطبيعة والإنسان يرفضانه، لهذا فهو سريع الإحساس بالفزع ، سريع اللجوء إلى السلاح.

وفي النهاية إن غضب الفتى الجزائري، وفزع الفرنسي: عناصر صدام حضاري لا بد أن يؤدي إلى جريمة.

إن الروايات الثلاث تصل إلى نتيجة واحدة مع بعض الفروقات:

1- القبول بحضارة الغرب مع رفض مقدماتها " التقدم العلمي – الصناعة ..." الحكيم.

2- النضال القومي عبر ربطه بالتأثر بالثقافة الغربية " سهيل إدريس "

3- الوصول إلى الهدوء بعد انتهاء صدمة العلاقة بالغرب أي الوصول إلى اخذ منجزاته من موقع الثبات " الطيب صالح ".

ويظهر مما تقدم أن العناصر السابقة هي تنويعات لمسألة واحدة، مسألة هضم الحضارة الغربية، دون المرور بمراحلها المختلفة، أي الصراع معها دون الوصول إلى القطيعة يمكننا بعد ذلك أن نقدم ملاحظتين هامتين بعد هذه الرحلة مع " الرواية الحضارية ".

1- الاتجاه العام الذي سارت فيه الروايات والقصص الحضارية، التي حاولت التعبير عن صدام الحضارات، صدام الشرق والغرب عن طريق حصره في لقاء الروح والمادة، ذاتية الشرقيين وبكورهم وموضوعية الغربيين وعلْمَانيتهم، وهذا مذهب ذهب إليه كتاب

الغرب سابقا من أمثال "فولتير وفلوبير" فكأن الشرق لم يتأثر أدنى تأثر بالتيارات الحضارية التي تسود العالم وتزحف عليه من عصر النهضة".

2- إن روايات الصدام الحضاري المكتوبة في الرواية العربية تبدو من أنضج ما كتب من الروايات، وذلك من خلال آراء بعض النقاد وكتاب الروايات أنفسهم37.

3- لا يقتصر الإنتاج الروائي " الحضاري " على الروايات السابقة المذكورة بل يتعداه إلى غيره (مثل قنديل أم هاشم ليحيى حقي، الأشجار واغتيال مرزوق لعبد الرحمن منيف وكذلك أغلبية الروايات التي تتناول اللقاء الحضاري داخل الوطن مثل: " وداعا يا أفاميا " لشكيب الجابري " البيضاء " ليوسف إدريس، "ثائر محترف" لطاع صفدي، "وشتاء البحر اليابس" لوليد إخلاصي، ويتنوع " الآخر " في هذه الروايات الأخيرة من البلجيكي إلى اليوناني إلى السويسري، والإيطالي والتنويه هنا موجه إلى التجربة الفلسطينية خاصة.

تجدر الإشارة إلى أن الرواية العربية " الحضارية " قد اتجهت اتجاها آخر مغايرا للاتجاه التقليدي (أي محور باريس، لندن) واتجهت صوب الغرب الأوربي " الاشتراكي " بعد عملية تفاعل طويلة يرجع تاريخها إلى أيام المد التحرري " الثوري العربي " إبان مرحلة الكفاح والنضال ضد القهر الأوربي " الغربي ".

ظهور نوع جديد من الأبطال، حيث لم يعد فقط "طالبا" متجها صوب الغرب للدراسة، ويبرز هنا خاصة البطل المناضل المثقف، المهزوم في وطنه أو المنفي عنه" "شرق المتوسط". الأشجار واغتيال مرزوق لعبد الرحمن منيف".

يلاحظ على رواية " اللقاء الحضاري " في الغرب الاشتراكي – خارج الوطن – محدوديتها من الناحية الكمية.

كما يلاحظ عليها أيضا سيطرة العواصم الإيديولوجية الكبرى للاشتراكية (روسيا تشيكوسلوفاكيا سابقا، بولونيا، المجر وإذا تعدته فإلى بكين العاصمة الصينية".

لا يقدم هذا التوجه الجديد للرواية الحضارية أي جديد بالنسبة للمضمون الروائي ولا شكله إلا ما كان من الفكرة الأساسية ألا وهي أن العلاقة بين الطرفين (الشرقي والغربي الاشتراكي) لا تبدو عدائية. فصورة " بودا بست " العاصمة المجرية ليست كما ظهرت في روايات باريس ولندن، لأنه ليس هنالك ما يؤدي إلى توتر الصراع وتطوره ليصل إلى العداء والتنافر إلا ما يظهر من علاقة الأبطال بالنساء من الجانب العاطفي.

تظهر رواية " الضفة الثالثة" لأسعد محمدي، العراقي والتي تدور أحداثها في "الجزر" وبطلها طالب يدرس الموسيقى.

ورواية "الربيع والخريف" لخناينه التي تدور أحداثها بين " الصين، الجزر، النمسا" ولكن حضور " الجزر " اكثر من حضور الدول الأخرى وكذا الوطن، وبطلها ليس طالبا ولكنه سياسي هارب من الوطن وعصامي، فهو كاتب ويدرس الأدب العربي في الجامعة ويعمل بالقسم العربي لإذاعة بودابيست ... وليس له شهادات.

تعتبر هاتان الروايتان رائدتين فيما يتعلق باللقاء الحضاري مع الغرب الاشتراكي خارج الوطن.ولعل الاقتباس التالي يلخص الفكرة العامة للقاء الحضاري مع الغرب في الرواية الحديثة ويوضحها على أكمل وجه.

"وقد ظهر في هذا القرن البطل العربي الذي "يغزو" أوربا طلبا للعصا السحرية الحديثة "العلم"، وهناك يلاقي البطل مساعدة الأميرة، ويعرف المرأة، ويتغلب على الشخصية الشريرة ويعرف مساوئ مجتمعه، وقد يتدوّت البطل في فحولته الجنسية فيكون انتصارها انتصاره..... ويتدوت البطل، من جهة أخرى، في اللاوعي العربي الجماعي، وفي الوعي الجماعي العربي، فيحاكم أوربا ويلقي أحكاما قيمية على حضارتها بموجب ذلك اللاوعي وتلك التصورات العربية عنها، .... ومهما يكن فإن البطل العربي الذي يترك البيت " الوطن "، ويذهب للبحث عن الأميرة "العلم" في البلاد المجهولة المعادية " أوربا " يجسّد وجود توتر في الحضارة العربية بل وانجراحات كثيرة تبحث عن استعادة التوازن، ويكون خفض ذلك التوتر متمثلا في الرحلة إلى البعيد الغريب، إلى حيث العدو المجهول، بحثا عن الكنز، ويقتل الغول أو الرصد الذي هو الجهل ... والمرض والانقهار"[38].

إذا كانت روايات اللقاء الحضاري مع الغرب تنحو هذا المنحى، فهل كانت رواية " المرفوضون" لإبراهيم سعدي (الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر 1981) تقصد البحث عن الأميرة أم كانت تبحث عن الكنز؟ ما كانت " المرفوضون" قصدت ولا هي تقصد كل ذلك إنما همها وهم " بطلها " هو البحث عن لقمة العيش ممثلة في العمل.

إذ يعتبر اللقاء الحضاري مع الغرب بالنسبة لبلدان الشمال الإفريقي " خاصة مع فرنسا " هاجسا أساسيا، كما أن القضية "تشغل الخطاب الفكري عامة... سواء فيما كتب من تلك النصوص باللغة الفرنسية أم باللغة العربية "[39]

وبناء عليه فإن الرواية المغاربية — وخاصة الجزائرية — تتجه اتجاها مغايرا لشيلتها في المشرق بفعل عوامل تاريخية استعمارية قديمة وحديثة وعوامل جغرافية بحكم الجوار وما يلحق ذلك من تبعات بحكم هذين العاملين.

فعلى أي اتجاه تتجه رواية " المرفوضون " بالنسبة للرواية العربية " الحضارية"؟ يتمثل اتجاهها في تعميقها الصراع النفسي لدى الشخصيات الأجنبية في الرواية في علاقتها بأحمد (المغترب الجزائري)، وإظهار عقدها ومواقفها تجاه كل ما هو جزائري بناء على حقد دفين لا يبرح مخيلة اغلب الشخصيات (ماري، ليما جان...) التي مازالت تبني حياتها على " وهم " الجزائر فرنسية.

ولم ينس الكاتب في المقابل استغلال هذه الرواية ليخرج من هذا المجتمع " مجتمع الرواية طبعا" الموبوء شخصيات ذات بعد إنساني تتجاوب مع " أحمد " كصاحبة العمارة " سوزان "، وكذا " برنار" زوج " ماري " الذي قتله " جان " في الجزائر وادعى أن الجزائريين هم الذين قتلوه، نعرف عزوفه عن العنف من خلال الرسائل التي يرسلها إلى زوجته " ماري " ومن خلال التداعي والحوار الحاصل بين " ماري " و" جان "... وهكذا استطاع الكاتب أن يكسب القراء إلى صفه في جلب العطف لأحمد وكذا الاقتراب النفسي من شخصية " برنار" الغائب/الحاضر وكذا شخصية "سوزان" التي تشفق على "أحمد " دون أن تظهر ذلك.

إن باقي شخصيات الرواية " عدا سوزان " تتلخص مواقفها بالرفض والاحتقار وعدم رغبتها في عقد مصالحة معه (أي مع أحمد) وعدم السماح له بمباشرة حياة عادية، على الرغم مما بذله في سبيل ذلك...

إن رواية " المرفوضون " تدخل ضمن إطار الروايات التي تدور أحداثها في أوربا (فرنسا) ولكنها تختلف عن الروايات السابقة لها سواء في شمال إفريقيا أو في المشرق يتمثل ذلك في:

— أنها تقدم وجها جديدا لأوربا (فرنسا)، عالجته روايات كتاب المشرق معالجة فكرية " وكذا كتاب المغرب" الذين صوروا لنا الصورة التي اعتدناها عن أوربا، العلم والفن والحضارة والثقافة والمدنية التي كانت شائقة في الرواية العربية التي تدور أحداثها في أوربا.

– أنها تختار لنفسها منهجا آخر تختلف به عن كل الروايات الجزائرية– تقريبا– ويتمثل ذلك في خلق عوامل داخلية مختلفة ومتداخلة. تظهر لنا الشخصيات " الفرنسية " من خلالها. وهي تعاني من تأزمات نفسية حادة من الداخل. وفي صراع قوي بينها وبين الإنسان الجزائري من الخارج.

– اختارت محيطها من محيط العمال المهاجرين المغتربين بفعل الفقر وفقدان فرص العمل في الوطن ومن هنا كان لزاما عليها أن تختار " بطلها " من هذه الطبقة فجاء " عاملا " بسيطا أميا عكس الرواية العربية التي سبقتها ومن ثم قلها السبق في طرق هذا الموضوع " البطل العامل " إذ كان بطلها – غالبا– مثقفا–أو طالبا. فعملية المثاقفة هنا لا يمكنها أن تتحقق على الأقل كما كان يتصورها رواد هذا الاتجاه.

– أنها خالفت الروايات الأخرى في أنها لم تنقل شخصياتها من بيئاتها إلى البيئة الجزائرية. بل أبقتها في بيئتها الحضارية. ثم حاولت أن تصور تفاعلاتها وعلاقتها مع الإنسان الجزائري – أحمد –.

ملخص"– أنها من أغنى الروايات الجزائرية في تواجد النموذج " الفرنسي " إذ تكاد تكون كل شخصياتها أجنبية [43].

– أنها استطاعت أن تعيد إلى السطح عنف الحضارة الغربية ورغبتها في السيطرة وإلمامها بالتعالي الجنسي. وهو جانب من الحضارة الغربية أشار إليه الكتاب السابقون في الرواية العربية من حيث هو جزء من البنية الفكرية والسياسية لهذه الحضارة. ولكنهم لم يركزوا عليه هذا التركيز الذي في رواية "إبراهيم سعدي" ولم يجعلوه الملمح البارز.

لقد كان عامل الاحتياج المادي والقهر السياسي. والظلم الاستعماري الممارس على الشعب الجزائري من أهم العوامل التي دفعت بالجزائريين إلى الهجرة. إما إلى المدن المجاورة داخل الجزائر أو إلى فرنسا. التي شجعت تلك الهجرة للاستفادة من اليد العاملة الرخيصة في المجالين العسكري والاقتصادي ولم يلق هؤلاء المهاجرين من المجتمع الفرنسي إلا الجحود والحقد والكراهية التي لا مسوغ لها إلا التعالي الجنسي. إزاء قوم كان من حقهم أن يحملوا للفرنسيين الحقد والكراهية مقابل ما مورس عليهم وعلى شعبهم من تفقير وتجويع وتشريد ونهب للخيرات. ثم إننا نجدهم يشاركون في بناء الاقتصاد الفرنسي بأقل عبء وأقل تكلفة.

يُمارَسُ التعالي الجنسي والتفرقة العنصرية على كل ما هو مغربي " شمال إفريقي" ويتعداه إلى كل ما هو إفريقي " زنجي " وإلى كل ما هو عربي ثم إلى كل ما هو "عالمثالثي"!!

إن الحقد والكراهية التي يكنها الفرنسيون " ليس كل الفرنسيين " لكل ما هو جزائري يعود إلى التضحيات التي قدمها الشعب الجزائري في سبيل استعاد استقلاله ليحطم بذلك مشروع: الجزائر فرنسية ويحطم حلم الكثير من " الأقدام السوداء " وأصحاب الأعمال والمعمرين.

وقد انتقل موضوع الاغتراب والهجرة إلى القصة والرواية حيث عولج بشكل متفاوت من حيث استخدام الوسائل الفنية، " فبعض الكتاب اكتفى بالتسجيل الوثائقي لواقع الهجرة، في حين وقف كتاب آخرون على الجانب الأهم وهو البعد الإنساني لهذه القضية " [1].

ولقد ركز على ما يعانيه الجزائريون في المهجر من معاملة سيئة، ومن ممارسة شتى وسائل القهر معهم، على نحو يدفعهم في النهاية إلى الاستسلام للإحساس بالغربة أو العودة خائبين إلى الجزائر.

لقد اتخذت هذه الروايات أفراد الطبقات المغمورة نماذج لأنها تحمل في طياتها أبعادا خاصة، وكانت شخصية " العامل " هي التي تتصدر هذه النماذج للإشارة الخفية إلى النهج الاشتراكي والالتزام بقضايا الجماهير الكادحة من فلاحين وعمال...

هذا المذهب الذي نادى أنصاره من الأدباء والنقاد والفنانين ورجال الفكر بمراعاة الطبقة العاملة والتركيز على مشكلاتها بصفة خاصة، وهذا بالضبط ما فعله " إبراهيم سعدي " في روايته " المرفوضون ".

الخاتمة:

إن المتتبع لرواية المواجهة الحضارية لا بد أن يلاحظ التطور الحاصل في مسارها من الناحية الفنية والفكرية ولكن هناك قواسم مشتركة لا زالت تتكرر على النحو الذي رسمه الأوائل ولعل ذلك يرجع إلى إن الظاهرة ظاهرة الصراع مع الغرب ما زالت بنفس الحدة بل تعاظم شأنها في السنوات الأخيرة مما حدى ببعض الكتاب إلى الانغلاق على الذات وتكرار الموضوعات القديمة (المتجددة) في أشكال مختلفة إذ تشترك هذه الروايات في:

– أن البطل المعبر عن الذات العربية وحضارتها، يغلب عليه " المثقف" و "الطالب" في المرتبة الثانية.

– ظهور نموذج جديد هو: "العامل المغترب" خاصة في الرواية المغاربية.

– تلعب المرأة الغربية في "الرواية الحضارية" دورا بارزا، إذ تمكنت الأنثى (البطل المضاد) التقاطب مع البطل (المثقف العربي) لكشف زيفه وتفاهته وجهله وكبته، وفي المقابل تمتلك هي ذكاء حادا وحقدا وحضارة.

– المرأة الغربية كانت محكا لكل الأبطال في روايات المواجهة الحضارية حيث يفشل كل الأبطال في اجتياز الاختبار (مصطفى سعيد يحاكم ثم يغرق في النهر، محسن يصاب بالإحباط، بطل الحي اللاتيني يغدّر بالبطلة ويعدها بالزواج ولكنه يعود إلى وطنه هاربا من المرأة، أحمد في رواية المرفوضون ينتحر...الخ).

– انتقال الآخر للعيش في فضاء عربي مكّن الرواية من نظرة جديدة أعطت لها دفعا جديدا.

– ظهور نوع من المهادنة في الروايات المشرقية تجاه الغرب ، وإدانة واضحة في روايات الشمال الإفريقي للغرب الاستعماري –خاصة–.

– أغلب روايات المواجهة الحضارية مع الغرب هي عبارة عن تجارب ذاتية لأصحابها –خاصة الروايات الأولى–(عصفور من الشرق ،الحي اللاتيني ، موسم الهجرة إلى الشمال).

الهوامش والإحالات:

---

[1]– عبد الحميد حنون، صورة الفرنسي في الرواية المغربية،ديوان المطبوعات الجامعية، 1986 ص 05

[2]– إبراهيم سعدي – المرفوضون – الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر 1981 ص 96

[3]– جورج طرابيشي –شرق وغرب– رجولة وأنوثة – دار الطليعة، الطبعة 1 أفريل 1977 ص 10

[4]– محمد نجيب التلاوي– الذات والهمماز(دراسة التقاطب في صراع روايات المواجهة الحضارية) الهيئة المصرية العامة للكتاب 1998 ص 7.

[5]– دكتور نجيب التلاوي، الذات والهمماز مرجع سابق ص 08

[6]– محي الدين صبحي،عوامل من التحليل، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق 1974 ص 33

[7]- نبيل سليمان ،وعي الذات والعالم، دراسات في الرواية العربية، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، الطبعة 1، 1985 ص 6

[8]- نبيل سليمان ،وعي الذات و العالم مرجع سابق ص08

[9]- جورج طرابيشي، شرق وغرب رجولة وأنوثة، مرجع سابق ص 48.

[10]-عبد الحميد حنون، صورة الفرنسي في الرواية المغربية، مرجع سابق ص 358-359 وما بعدها.

[11]- مصطفى فاسي، البطل في القصة التونسية حتى الاستقلال، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1958 ص 283.

[12]- عبد الحميد حنون، صورة الفرنسي في الرواية المغربية؟، مرجع سابق ص308.

[13]- جورج طرابيشي، شرق وغرب، رجولة وأنوثة مرجع سابق ص 11

[14]- المرجع السابق، ص 11 – 12

* ملاحظة: ظهور بعض النماذج الجديدة (كنموذج العامل المغترب(خاصة في الرواية المغاربية (المرفوضون لابراهيم سعدي) نموذجا.

[15]- الطيب صالح، موسم الهجرة إلى الشمال، دار العودة بيروت، الطبعة الثانية 1969 – ص 36

[16]- د. محمد نجيب التلاوي، الذات والمهماز، مرجع سابق ص 6

[17]- توفيق الحكيم، عصفور من الشرق، دار المعارف 1974 مصر ص118

[18]- الرواية ص: 14

[19]- الرواية ص 121

[20]- الرواية ص 13

[21]- الرواية ص 153-154

[22]- الرواية ص 152

[23]- الرواية ص 152

[24]- نقلا عن جورج طرابيشي، شرق وغرب، رجولة وأنوثة، مرجع سابق ص 73

[25]- إلياس خوري، تجربة البحث عن أفق مقدمة لدراسة الرواية العربية بعد الهزيمة، مركز الأبحاث لمنظمة التحرير الفلسطينية، بيروت لبنان، يونيو 1974 ص 23

[26]- الطيب صالح، موسم الهجرة إلى الشمال، دار العودة – بيروت الطبعة الثالثة 1969 ص 165

[27]- الرواية ص 165

[28]- الرواية ص 167

[29]- الرواية ص 167

[30]- الرواية ص 38

[31]- الرواية ص 36

[32]- الرواية ص 36

[33]- الرواية ص 98

[34]- الرواية ص 34

[35]- نبيل سليمان. وعي الذات والعالم، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية الطبعة الأولى1985 ص 43

[36]- محي الدين صبحي، عوالم من التخييل، مرجع سابق ص 33 وما بعدها.

[37]- للتفصيل أكثر في هذه النقطة يراجع كتاب عوامل من التخييل محي الدين صبحي وكذا كتاب وعي الذات و العالم لنبيل سليمان.

[38]- الدكتور علي زيعود. قطاع البطولة والترجمة في الذات العربية – المستعلي والأكبري في التراث والتحليل النفسي، دار الطبعة بيروت، لبنان الطبعة 1 فيفري 1982 ص 75

[39]- نبيل سليمان، وعي الذات و العالم، مرجع سابق ص 7

40- بشير بويجرة محمد، الشخصية في الرواية الجزائرية (1970-1983) ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1986 ص 193.

41- أحمد الأخضر طالب ، الالتزام في القصة الجزائرية المعاصرة ، ماجستير مخطوط إشراف : الأستاذة :د سهير القلماوي .المكتبة المركزية ، جامعة القاهرة قسم الرسائل الجامعية، رقم الرسالة: 3561.